

تفسير البحر المحيط

@ 533 حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه ، وكان المعنى في ذلك : أن مواقع المعصية معها الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها ، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره ، فإذا أفرط في الإنكار كان أشد حالاً من المواقع ، وظهر بذلك الفرق بين ذم متعاطي الذنب ، وبين تارك النهي عنه ، حيث جعل ذلك عملاً وهذا صناعة . وقد يقال : أنه غير في ذلك لتفنن الفصاحة ، ولترك تكرار اللفظ . وفي الحديث : { مَّـا مِّنْ رَّجُلٍ } وأوحى إلى يوشع بهلاك أربعين ألفاً من خيار قومه ، وستين ألفاً من شرارهم فقال : يا رب ما بال الأخيار ؟ فقال : إنهم لم يغضبوا الغضبى ، وواكلوهم وشاربوهم . وقال مالك بن دينار : أوحى إلى الملائكة أن عذبوا قرية كذا ، فقالت الملائكة : إن فيها عبدك العابد فقال : أسمعوني ضجيجه ، فإنه لم يتمعر وجهه أي : لم يحمر غضباً . وكتب بعض العلماء إلى عابد تزهّد وانقطع في البادية : إنك تركت المدينة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ومهبط وحيه وآثرت البداوة . فقال : كيف لا أترك مكاناً أنت رئيسه ، وما رأيت وجهك تمعر في ذات الله قط يوماً أو كلاماً هذا معناه أو قريب من معناه . وأما زماننا هذا وعلماؤنا وعبادنا فحالهم معروف فيه ، ولم نر في أعمارنا من يقارب السلف في ذلك غير رجل واحد وهو أستاذنا أبو جعفر بن الزبير ، فإن له مقامات في ذلك مع ملوك بلاده ورؤسائهم حمدت فيها آثاره ، ففي بعضها ضرب ونهبت أمواله وخربت دياره ، وفي بعضها أنجاه من الموت فراره ، وفي بعضها جعل السجن قراره .

{ لَبِيدٌ سَمَاءٌ كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْ لَا يَذْهَبَهُمُ الرَّبُّ بِسَانِيٍّ }
وَالْأَوْحِيَّارُ عَن قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِيدٌ سَمَاءٌ كَانُوا
يَمْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ } نزلت في فنخاص قاله :
ابن عباس . وقال مقاتل : فيه وفي ابن سوريا ، وعازر بن أبي عازر قالوا ذلك . ونسب ذلك إلى اليهود ، لأن هؤلاء علماؤهم وهم أتباعهم في ذلك . واليد في الجارحة حقيقة ، وفي غيرها مجاز ، فيراد بها النعمة تقول العرب : كم يدلي عند فلان ، والقوة والملك والقدرة . قل : إن الفضل بيد الله قال الشاعر : .

وأنت على أعباء ملكك ذويد .

أي ذو قدرة ، والتأييد والنصر يد الله مع القاضي حين يقضي ، والقاسم حين يقسم . وتأتي صلة (مما عملت أيدينا أنعاماً) أي مما عملنا { أَوْ يَعْفُوَا } الذي بيده
عُقُودَةُ النِّكَاحِ } أي الذي له عقدة النكاح . وظاهر قول اليهود إن الله يداً فإن كانوا

أرادوا الجارحة فهو مناسب مذهبهم إذ هو التجسيم ، زعموا أن ربهم أبيض الرأس واللحية ،
قاعد على كرسي . وزعموا أنه فرغ من خلق السموات والأرض يوم الجمعة ، واستلقى على ظهره
واضعاً إحدى رجليه على الأخرى للاستراحة . وردّ أنّ تعالى ذلك بقوله : { وَلَمْ يَعْوَ
بِخَلْقِيهِنَّ } { وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } وظاهر مساق الآية يدل على أنهم أرادوا
بغلّ اليد وبسطها المجاز عن البخل والجود ، ومنه { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } ولا يقصد من يتكلم بهذا الكلام إثبات
يد ولا غل ولا بسط ، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه ، كأنهما كلامان
متعاقبان على حقيقة واحدة ، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ، ولا يمنعه إلا
بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها . وقال حبيب في المعتم